تفسير القرآن بالقرآن في مرتكب الكبيرة عند الوعيديه -دراسة عقديه

Interpretation of the Qur'an by the Qur'an in the case of the perpetrator of a major sin according to the Wa'idiyyah - a doctrinal study

إعداد

بدور بنت عوض العتيبي

Badour Awad Al-Otaibi

محاضر بقسم الدراسات الإسلامية -جامعة الملك سعود

Doi: 10.21608/jasis.2024.387102

استلام البحث	٢٠ / ٧ / ٢٠٢٤
قبول البحث	١٥ / ٨ / ٢٠٢٤

العتيبي، بدور بنت عوض (٢٠٢٤). تفسير القرآن بالقرآن في مرتكب الكبيرة عند الوعيديه -دراسة عقديه. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨(٣٠)، ٨٧- ١٢٦.

http://jasis.journals.ekb.eg

تفسير القرآن بالقرآن في مرتكب الكبيرة عند الوعيديه ـ دراسة عقديه

المستخلص:

إن الله عز وجل شرف هذه الأمة بإنزال القرآن إليها، وخصها بهذا الفضل دون سائر الأمم، وحفظه من التحريف، وسخر له من السلف الصالح من دأب على العناية به وتفسيره، وقرروا من خلاله عقيدة أهل السنة والجماعة. وإن من أعظم وأجل ما فسر به؛ تفسيرَ القرآن بالقرآن. بل إن من جليل مباحث العقيدة المحتفى بها عند أهل السنة والجماعة ومن سار على نهجهم من السلف الصالح؛ مسائلَ الإيمان، وصنَّفوا فيها المصنفات، وأول ما قارعوا بها مخالفيهم. ولكن هناك من حاد عن جادة السلف، وانحرف وضل كالفرق الكلامية، بل إنهم قرروا عقائدهم الفاسدة مستندين إلى تفسير القرآن بالقرآن، بمناهجهم الباطلة، وصرف الآيات عن معانيها الصحيحة، وتحريف الكلم عن مواضعه. ولبيان الخلل الذي وقعت فيه الفرق الكلامية في تفسير القرآن بالقرآن في مسائلة مرتكب الكبيرة.

Abstract:

Allah the Almighty has honored this nation by sending down the Quran to it, and has singled it out for this favor over all other nations, and has preserved it from distortion, and has provided for it from the righteous predecessors those who were diligent in caring for it and interpreting it, and through it they established the creed of the people of the Sunnah and the Community. One of the greatest and most important ways in which it was interpreted is interpreting the Quran with the Quran. Indeed, one of the great topics of creed celebrated by the people of the Sunnah and the Community and those who followed their approach from the righteous predecessors are the issues of faith, and they have classified books on them, and the first thing they used to confront their opponents was their opponents. However, there are those who have deviated from the path of the predecessors, and have gone astray, such as the theological sects. Indeed, they established their corrupt beliefs based on interpreting the Quran with the Quran, with their false methods, and diverting the verses from their correct meanings, and distorting the words from their places. To clarify the error

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

that the theological sects fell into in interpreting the Quran with the Quran in the question of the one who commits a major sin.

مشكلة البحث

لما تعددت مناهج الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، وصنَّفوا المصنفات في العلوم الشرعية من العقيدة والتفسير بناءً عليها، فقرروا عقائد مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة خصوصاً في مسائلة مرتكب الكبيرة، واستدلوا عليها بتفسير القرآن بالقرآن الذي يُعد من أعلى طرق التفسير؛ جاء هذا البحث لدراسة مسائلة مرتكب الكبيرة عند الوعيدية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. ارتباط الموضوع بأجل مباحث العقيدة -مسائل الإيمان-، وبالمصدر الأساس للاستدلال؛ وهو القرآن، وبأعظم وأجل طرق تفسيره.

٢. الحاجة لإبراز منهج أهل السنة والجماعة في تفسير القرآن بالقرآن في مسائلة مرتكب الكبيرة، التي يتجلى فيها المنهج الرباني القويم، وحقيقة الاتباع الصحيح.

٣. الحاجة الماسة لبيان ضلال مناهج المخالفين في تفسيرهم القرآن بالقرآن، وإيضاح ذلك الانحراف في مسائلة مرتكب الكبيرة.

٤. اعتماد الوعيدية (الأباضية – والمعتزلة – والزيدية) في الاستدلال على الأهواء وما يناسبه من العقل، فبرزت أهمية البحث في بيان مناهجهم في تفسير القرآن بالقرآن لكونه من أعظم وأجل طرق التفسير.

أهداف البحث:

١. معرفة مسائل الإيمان التي استدل عليها الوعيدية بتفسير القرآن بالقرآن.

٢. الكشف عن منهج الوعيدية في تفسير القرآن بالقرآن في مرتكب الكبيرة.

٣. إبراز أثر المنهج العقدي في تفسير القرآن بالقرآن عند الوعيدية في مرتكب الكبيرة.

٤. تقويم منهج تفسير الوعيدية في تفسيرهم القرآن بالقرآن في مرتكب الكبيرة.

أسئلة البحث:

١. ما مسائل الإيمان التي استدل عليها الوعيدية بتفسير القرآن بالقرآن؟

٢. ما منهج الوعيدية في تفسير القرآن بالقرآن في مرتكب الكبيرة؟

٣. ما أثر المنهج العقدي في تفسير القرآن بالقرآن عند الوعيدية في مرتكب الكبيرة؟

٤. ما التقويم الموجه لمنهج تفسير الوعيدية في تفسيرهم القرآن بالقرآن في مرتكب الكبيرة؟

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

حدود البحث:

-البحث يدرس الآيات التي تناولت مسائلة مرتكب الكبيرة مما فُسِّر القرآن فيها بالقرآن عند الوعيدية.

مصطلحات البحث:

الوعيدية: وهم الخوارج والمعتزلة، ويسمون الوعيدية لأنهم أخذوا بآيات الوعيد وتركوا آيات الوعد التي فيها وعد الله بالمغفرة والتوبة[١]، وقالوا بقطع إنفاذ الوعيد في أهل الإيمان والإسلام، ولم يروا لأهل الفسق في الرحمة نصيباً ولا رجاء[٢].

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات والبحوث في تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك في مسائل الإيمان، ولكن بعد الاستقصاء والبحث تبين أن جُلَّ تلك الدراسات تناولت المسألة وتفاصيلها عند أهل السنة والجماعة، أما تفسير القرآن بالقرآن في مرتكب الكبيرة عند الوعيدية فلم أجد -حسب علمي واطلاعي- دراسة تطرقت لهذه المسألة أو أي دراسة للموضوع. وقد بحثت في محركات البحث المتوفرة على الشبكة، واستقصيت الموضوع في كثير منها، كالمكتبة الرقمية، ودار المنظومة، وجامع الكتب المصورة، وتواصلت مع العديد من المكتبات والجهات المختصة بالأبحاث العلمية، كمكتبة الملك فهد الوطنية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبات الجامعات، مثل مكتبة الملك سلمان المركزية، ومكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومكتبة جامعة الملك عبدالعزيز، ومكتبة جامعة أم القرى، فلم يتبين لي أي بحث لتفسير القرآن بالقرآن عند الوعيدية .

ومن خلال البحث تبين بعض الدراسات السابقة، كالتالي:

١. الإباضية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم، بحث في مجلة العلوم الشرعية من جامعة القصيم، لناصر بن محمد الصائغ، عام ١٤٣٤هـ، البحث عبارة عن فصلين، الأول تعريف بالإباضية وعقائدها، والثاني منهج الإباضية في التفسير، وتناول مسألة تفسير القرآن بالقرآن بما لا يتجاوز الصفحة الواحدة.

١. تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم، وهي رسالة دكتوراة، للدكتور محسن بن حامد المطيري، قسمه إلى ستة فصول، تناول في الفصل الأول التعريف بتفسير القرآن بالقرآن وأهميته، والفصل الثاني ذكر الضوابط المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن، ثم الفصل الثالث تكلم عن أسباب الأخطاء الخاصة بتفسير القرآن بالقرآن، والفصل الرابع الأسباب المتعلقة بالعقيدة، ثم الفصل الخامس أسباب الأخطاء المتعلقة بأصول

(١) شرح رسالة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، صالح الفوزان، ص٣٥.

(٢) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود الخلف، ص٦٦.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

التفسير، ثم في الفصل السادس الأسباب المتعلقة باللغة. فالرسالة تناولت تفسير القرآن بالقرآن من حيث التأصيل، ووضع الحدود والضوابط، والوقوف على أسباب أخطاء العلماء في تفسير القرآن بالقرآن عموماً، وقد خصص الفصل الرابع لبيان أن من أسباب الأخطاء عقيدة المفسر، وذكر في ذلك أمثلة من كتب بعض الفِرَق، في حين أن موضوع بحثي مختص بدراسة تفسير القرآن بالقرآن في مسائل الإيمان عند الخوارج والمرجئة، وبالرجوع إلى كتبهم ومصنفاتهم، وتتبع المواضع التي فسروا فيها القرآن بالقرآن في مسائل الإيمان، واستنباط منهجهم في ذلك.

أما باقي الدراسات التي تناولت تفسير القرآن بالقرآن، ولكن لم تتطرق لموضوع البحث.

منهج البحث

هو المنهج الاستقرائي الاستنتاجي.

إجراءات البحث

أولًا: الإجراءات الخاصّة:

١. استقراء مسائلة مرتكب الكبيرة التي فُسِّر القرآن فيها بالقرآن ما أمكن، وذلك من خلال مصنفات الوعيدية في التفسير، وكذلك المصنفات التي اهتمت بعلوم القرآن، وتفسير القرآن بالقرآن ككتب الوجوه والنظائر، وكتب المبهم، وكتب المتشابه، وكتب تأويل المشكل، وكتب المناسبة، وكتب الآيات المتشابهة، وكتب التفاسير الموضوعية، وكتب توجيه القراءات، وكتب الناسخ والمنسوخ.

٢. دراسة مسائلة مرتكب الكبيرة التي فسر القرآن فيها بالقرآن، من خلال كتب الوعيدية في التفسير، وكتب علوم القرآن.

ثانيًا: الإجراءات العامّة:

٣. عزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن، مع التزام الرسم العثماني.

٤. تخريج الأحاديث، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، وإن كانت في غيرهما عزوتها لمخرجيها، وذكر حكم أهل الشأن فيها.

٥. توثيق المراجع في الحاشية بالاقتصار على المعلومات الأساسية من اسم الكتاب والمؤلف، ورقم الجزء والصفحة، وإثبات المعلومات التفصيلية في فهرس المصادر والمراجع ابتداءً باسم الكتاب، ثم المؤلف، ثم معلومات الناشر والطبعة.

٦. إيضاح الألفاظ الغامضة بالرجوع إلى القواميس المختصة.

٧. التعريف بالأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث، ومعيار التعريف ذكر اسم العَلَم، وتاريخ مولده ووفاته، وأهم ما اشتهر به، وأبرز مؤلفاته.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٨. تذييل البحث بالفهارس اللازمة، وترتيبها حسب حروف المعجم؛ عدا فهرس الآيات، فهو حسب ترتيب المصحف.

التصور المبدئي لخطة البحث:

المقدمة: وتتضمن: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، وحدوده، ومصطلحاته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته.

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن لمرتكب الكبيرة عند الوعيدية ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن لمرتكب الكبيرة عند الأباضية

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن لمرتكب الكبيرة عند المعتزلة.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بالقرآن لمرتكب الكبيرة عند الزيدية.

الفهارس: وتشمل:

١. فهرس الآيات.
٢. فهرس الأحاديث.
٣. فهرس الأعلام.
٤. فهرس الفِرَق.
٥. فهرس المصطلحات.
٦. فهرس المصادر والمراجع.
٧. فهرس الموضوعات.

تفسير القرآن بالقرآن لمرتكب الكبيرة عند الوعيدية.

إن من المسائل التي تذهب إليها، وتقررها كلاً من الإباضية والمعتزلة[٣]، وهي أصلاً من الأصول الخمسة عند المعتزلة، مسألة الوعد والوعيد، التي يقولون فيها أن الله عز وجل صادق في وعده ووعيده، فكما أنه وعد المطيعين الجنة والخلود فيها ووعده حق، وعد العاصين بالنار والخلود فيها أبداً لا يخرجون منها إنفاذاً لوعيده، وهم بذلك يذهبون إلى أن مرتكب الكبيرة من العصاة الذي وجب على الله تعالى إنفاذ وعده فيه وتخليده في نار جهنم لايخرج منها أبداً.

[٣] انظر: الكشاف، لزمخشري، ص٤٠٦، الموجز، لأبي عمار عبدالكافي الأباضي، (١٠٤/٢)، تحقيق عمار طالبي، موفم للنشر- الجزائر.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

إلا أن المعتزلة والخوارج افترقوا في مرتكب الكبيرة: فقالت المعتزلة أنه فاسق لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين، وقالت الخوارج كل من ارتكب ذنباً فهو كافر[٤].

فالإفتراق كان في حكم مرتكب الكبيرة فالدنيا، أما في الآخرة اتفقوا أنه خالد مخلد في نار جهنم لا يخرج منها أبدً.

أما من تأثر بالمعتزلة وسار على نهجهم في الأصول؛ فهم الزيدية، اقتبسوا الإعتزال، وعظموا أئمتهم، واقتفوا أثرهم[٥].

يقول الشهرستاني: (وأكثرهم _الزيدية_ في زماننا مقلدون؛ لا يرجعون إلى رأي واجتهاد: أما في الأصول؛ فيرون رأي المعتزلة: حذو القذة بالقذة، ويعظمون أئمة الإعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت، وأما في الفروع؛ فهم على مذهب أبي حنيفة، إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي رحمة الله والشيعة)[٦].

وأجمعت الزيدية على أن أصحاب الكبائر كلهم معذبون في النار، خالدون فيها، مخلدون أبداً، لايخرجون منها ولايغيبون عنها[٧].

واختلف من أثبت الوعيد لأهل الكبائر وأسمائهم، وفي كبائرهم ماهي؟ بعد اجتماعهم على ثبوت الوعيد لهم، ونفي التسمية عنهم بالإيمان، قالت المعتزلة: كبائرهم فسق وضلال، ليست بكفر، وأسماؤهم فاسقون ضالون، ليسوا بكافرين، ولا مؤمنين، فأثبت هؤلاء منزلة ثالثة ليست بإيمان ولا كفر، وادعوا اسماً ثالثاً، لا مؤمناً ولا كافراً. وقالت الاباضية والزيدية: كبائرهم كفر نفاق، لا كفر شرك، وأسماؤهم كافرون منافقون، ليسوا بمشركين ولا مؤمنين، لا إلى المشركين في الحكم والسيرة ولا إلى المؤمنين في الاسم والثواب، كما قال: (مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ)المُجَادلَة : **آية**[٨].

ويذهب صاحب الموجز، إلى أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نفاق وليس كفر شرك، وكما بيّن أنه ليس مؤمن ولا كافر وأن له اسماً ثالثاً وهو الفسق والنفاق

---

[٤] أصول الدين، البغدادي، ص٢٤٨.

[٥] انظر: الملل والنحل، لشهرستاني (١٢٤/١).

[٦] الملل والنحل، لشهرستاني (١٢٩/١-١٣٠).

[٧] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري،(٧٥/١)، المكتبة العصرية-بيروت، ط١/ ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.

[٨] الموجز، لأبي عمار عبدالكافي الأباضي، (١١٦/٢-١١٧)، تحقيق عمار طالبي، موفم للنشر- الجزائر.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

والضلال، فهو بهذا الرأي وافق المعتزلة في أن مرتكب الكبيرة لامؤمن ولا وكافر بل هو في منزلة بين المنزلتين- فاسق-، واستدل من آيات القرآن، بمافسر بعضه ببعض مما يوافق ماذهب وإليه.

في قولة تعالى: (مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ)المُجَادلَة : **آية**، نفاهم من المؤمنين أن يكونوا معهم في التسمية بالإيمان والمودة في الدين، ونفاهم من المشركين أن يكونوا معهم في التسمية بالشرك وأحكام المشركين، فهذه أحكام ثلاثة لأسماء ثلاثة؛ القتل للمشركين، والسبي والغنيمة وتحريم الذبائح، وتحريم المناكحة والموارثة والمدافنة-المداينة- معهم، إلا ما يحل من أهل العهد من ذلك، وتحريم القتل للمنافقين، إذا هم لم يظهروا نفاقهم، وتحريم السبي والغنيمة منهم، وتحليل الذبائح والمناكحة والموارثة والمدافنة معهم، وتجريح شهادتهم، وابطال عدالتهم، وإقامة الحدود عليهم، ولذلك يروى عن الحسن أنه قال: أن الحدود في المنافقين، وللمؤمنين وجوب الولاية، والمودة والمحبة في الدين، والاستغفار لهم وتجويز شهادتهم، واثبات عدالتهم، والتزكية لهم، فهذه أحكام ثلاثة، لأسماء ثلاثة، قال الله عزوجل: (إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٣)الأَحْزَاب ، فجعلهم ثلاث منازل معروفة غير مجهولة في كتاب الله عز وجل، وقال في المنافقين: (وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ)التَّوْبَة ، يقوله للمؤمنين أي في النصر والتسمية بالإيمان والوفاء، فقال تكذيباً للمنافقين: (وَمَا هُم مِّنكُمۡ)التَّوْبَة ، يقوله للمؤمنين أي ليسوا منكم في الوفاء ، ولا تجري عليهم أسماؤكم، ثم بين ما الذي لم يكونوا به المؤمنين، فقال: (وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦)التَّوْبَة ، أي يجبنون عن الحرب، وعن قتال العدو فبذلك ومثله من أفعالهم، لم يكونوا من المؤمنين، ثم قال: (أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ)التَّوْبَة ، يقول: قد علموا ذلك ودل على أنهم من أهل التصديق، وقال مفرقاً بين المؤمنين والمنافقين: (وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١)التَّوْبَة ، ثم قال: (ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧)التَّوْبَة ، يعني النفقة في سبيل الله، فبين ما به فرق

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

بين المؤمنين وبين المنافقين، من أفعال المنافقين التي ليست شركاً، وإنما هي كبائر دون الشرك[٩].

ومن هنا يتضح أن اطلاق الكفر عند الأباضية في مرتكب الكبيرة، يقصد بها كفر نفاق كما ذكرت سابقاً، أو كفر نعمة كما يسميها الشماخي[١٠]، فمسمى الكفر عند الإباضية يقصد به كفر النعمة لا كفر الشرك، فمتى ما اطلقوا الكفر مجرد يقصد به كفر النعمة، وهذا التمييز الإصطلاحي الذي وضحة كثير من علمائهم.

يقول الشماخي: اعلم أن أصل الكفر الستر والتغطية، و اطلقت في عرف الشرع على الشرك تارة، وعلى النفاق أخرى، وهو ضد الإيمان، والكفران جحود النعم[١١].

واستدل الشماخي من القرآن الكريم والسنة النبوية[١٢]، بما يؤيد ماذهب إلية في المعنيين، فاستدل على الكفر شرك، كما ورد في قولة تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦)البَقَرَةِ ، وهو الأكثر في القرآن كما ذكرها الشماخي.

والنوع الثاني: وهو عدم شكر النعم، نحو قولة تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧)آل عِمۡرَان ، وقولة: (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤)التَّوۡبَة، وقولة: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم

---

[٩] الموجز، لأبي عمار عبدالكافي الأباضي، (١١٧/٢-١١٨).

[١٠] أبو العباس المجتهد بدر الدين أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبدالواحد ابن سعيد بن أبي الفضل قاسم بن سليمان بن محمد بن عمر بن يحي بن إبراهيم بن موسى بن عامر جد الإمام أبي ساكن عامر بن علي بن عامر الشماخي، توفي سنة٩٢٨ه، من أعلام العلم الذين لهم شأن عظيم، وقد ألف وصنف في عدة علوم منها الفقة ، والتاريخ والسير والمنطق والحساب والهندسة. انظر: مقدمة التوحيد وشروحها، بدر الدين أبي العباس الشماخي، وأبي سليمان داوود التلاقي، ص٩-١٢، ترجمها عن البربرية: أبو حفص عمر بن جميع، صححها وعلق عليها: إبراهيم اطفيش الجزائري

[١١] مقدمة التوحيد وشروحها، بدر الدين أبي العباس الشماخي، وأبي سليمان داوود التلاقي، ص ١٢٩، ترجمها عن البربرية: أبو حفص عمر بن جميع، صححها وعلق عليها: إبراهيم اطفيش الجزائري، دار الحكمة -لندن، ط٢، ١٤٣٦ه/٢٠١٦م.

[١٢] انظر: مقدمة التوحيد وشروحها، بدر الدين أبي العباس الشماخي، وأبي سليمان داوود التلاقي، ص ١٢٩، ترجمها عن البربرية: أبو حفص عمر بن جميع، صححها وعلق عليها: إبراهيم اطفيش الجزائري، دار الحكمة -لندن، ط٢، ١٤٣٦ه/٢٠١٦م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥)النُّور، وقولة: (ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠)التَّوۡبَة.

ومن السنة النبوية، استدل بحديث: (ليس بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة)، وحديث: (يكفرن العشير)، وقولة: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، وقولة: (فقد كفر بنعمة يمينة).

فاتضح حينئذ أن الإباضية يقسمون الكفر إلى قسمين، هما كفر الشرك وكفر النعم، وقد كان هذا التمييز مصدر إشكال للفرق الأخرى، لأن كلمة الكفر تطلق في أغلب النصوص بدون إضافة الشرك أو النعم، ولهذا كثيراً ما تتهم الفرق الأخرى الإباضية بأنهم يكفرون غيرهم دون الوقوف على التمييز الإصطلاحي، فيقف الإباضية موقف الدفاع، ويستدلون بصحة هذا التحديد الإصطلاحي-كفر النعم –[١٣]، ومنها الاستدلالات السابقة.

فالإباضية تقرر عقيدتها في مرتكب الكبيرة، وتقول أن أهل الكبائر مخلدون في النار أبدا، مستدلين بآيات كثيرة من القرآن الكريم، منها قولة تعالى: (إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا ٢٣)الجِن ، وقولة تعالى: (وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارٗا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤)النِّسَاء : آية، ويستدلون كذلك بأحاديث، كقول رسول الله ﷺ: (صنفان من أهل النار لم أراهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا)، وقولة ﷺ:(لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر)[١٤].

ويؤولون استدلالهم للأحاديث بما أنها تنص أن هؤلاء لا يدخلون الجنة فهذا دليل أنهم يدخلون النار، بل إن مرتكب الكبيرة المصر عليها مهما عمل من الأعمال الصالحة وأعمال الخير، فإن أعماله حبطة وهو من أحبطها بنفسه لإصراره على

[١٣] البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، فرحات الجعبيري، ص٨٠٥، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف،١٤٠٨ه-١٩٨٧م.

[١٤] انظر المنهج القويم على الصراط المستقيم، أم الحواري آل ثاني، ص١١١، خزائن الآثار، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ه-٢٠١٨م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الكبيرة، فالله لايتقبل إلا من المتقين، وبإصراره على الكبائر فهو ليس بمتق؛ لذلك لا يتقبل الله منه حسناته -بزعمهم-[١٥].

ومما استدلوا به على خلود أهل الكبائر من المسلمين، قولة تعالى: (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١)البَقَرَةِ .

أي عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا ما قدرتموه، ولعلهم خيَّل لهم الشيطان أنه لا يعذبهم إلا قدر ما عصوا من تكذيبهم لرسول الله ﷺ ثم يخرجون من النار إلى الجنة، ولعلهم أثبتوا الأعمال الصالحة التي عملوها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، كما زعم من زعم من أهل القبلة وتأولوا هذا التأويل، (فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ) (بَلَىٰۚ) إثبات لما بعد النفي، وهو لن تمسنا، أي تمسكم أبداً، بدليل قولة: (هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)، (مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ) كبيرة وهي ضد الحسنة، (وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ) أي استولت عليه واشتملت جملة أحواله حتى صارت كالمحيطة به مثل الحائط يستولي على ما فيه، ومتى أحاطت به خطيئة صار مخذولاً مستدرجاً محبوط الأعمال، فرائضها وفضائلها، مأخوذاً بصغائر الذنوب وكبائرها، لأنه عاص فلا تقوم منه طاعة أبداً إلا أن يتوب (فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)[١٦].

ومما سبق يؤكد صاحب التفسير الميسر، و يقرر عقيدة الإباضية وهي خلود صاحب الكبيرة في النار، وتفسيره للآية بما يتوافق مع مذهبة، وينفي وينكر على من يقول أن يعذب بقدر معاصية ثم يخرج منها.

يقول ابن تيميه -رحمة الله-: (كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية وقال هؤلاء :من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها وعند هؤلاء ما ثم إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب. وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة كالأربعة وغيرهم فيقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى

[١٥] انظر المنهج القويم على الصراط المستقيم، أم الحواري آل ثاني، ص١١١-١١٢، خزائن الآثار، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ه-٢٠١٨م.

[١٦] التفسير الميسر للقرآن الكريم، سعيد بن أحمد الكندي، (١/ ٦٤-٦٥).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الله عليه وسلم أن الله يخرج من النار قوما بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم يخرجهم بشفاعة محمد ﷺ ويخرج آخرين بشفاعة غيره ويخرج قوما بلا شفاعة)[١٧].

وفي قولة تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧)هُود. (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ) قال بعضهم: هذا حين ينقطع كلامهم حيث يقول الله: (قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨) المُؤْمِنُون ، وذلك أن أهل النار يدعون مالكاً، فيذرهم مقدار أربعين خريفاً، ثم يجيبهم (إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧)الزُّخْرُف ، ثم يدعون ربهم: فيذرهم قدر عمر الدنيا، ثم يقول: (ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)، فلا ينفسون بعدها بكلمة، ولا كان إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق، وقولة: (خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ) أي أن الجنة في السماء والنار في الأرض، وذلك ما لا ينقطع أبداً. وقوله: (إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ) يعني ماسبقهم به الذين دخلوا قبلهم، كقولة: (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ)الزُّمَر ، وقال: (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ)الزُّمَر، فالزمرة تدخل بعد الزمرة، إلا ما شاء ربك، قال: (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧)هُود ، وقولة: (۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ)هُود، أي: إلا ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم، وذكر هاهنا ما افترت الفرقة الشاكة من أن قوماً يدخلون النار، ثم يخرجون منها بالشفاعة؛ فإن هذا موضعه وموضع الرد عليهم[١٨].

ومما سبق يبين ماذكره هود بن محكم في تفسير الآيه، أن من دخل النار فإنه خالد مخلد لا يخرج منها، ونفوا الشفاعة عنهم.

وفي قولة تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامٗا ٦٦)الفُرْقَان.

قال الحسن: قد علموا أن كل غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم، وبعضهم يقول: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) أي: لزاماً، وهو مثل قول الحسن، إلا أنه شبهه بالغريم يلزم

---

[١٧] الفتاوى لابن تيمية (١٤٨/١-١٤٩)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية، عام ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

[١٨] تفسير كتاب الله العزيز، لشيخ هود بن محكم الهواري، (٢٤٩/٢-٢٥٠)، تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

غريمه، وبعضهم يقول: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) أي: انتقاماً، قال: (إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا)أي: بئس المستقر هي. وقال الحسن: إن أهلها لا يستقرون فيها، كقولة: (عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ٣)الغَاشِيَة ، أعملها الله وأنصبها في النار، وقال: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ٤٤)الرَّحْمَٰن ، فهم في ترداد وعناء. قال: (وَمُقَامًا) أي: ومنزلاً[١٩] .

وفي قولة تعالى: (يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٧)المَائِدَة.

أي دائم لايفتر عنهم، قال الحسن: كلما رفعتهم بلهبها حتى يرتفعوا إلى أعلاها وطلبوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وهو قوله: (كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا)السَّجْدَة[٢٠] .

وقولة تعالى: (إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ١٦)الانفِطَار .

(إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) أي: في الجنة، (وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) يعني: المشركين المنافقين لفي النار، (يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ) أي: يوم الحساب، يوم يدين الله فيه الناس بأعمالهم، (وَمَا هُمْ عَنْهَا) أي: عن النار (بِغَآئِبِينَ)، وقال في آية أخرى: (أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ)[٢١] الرُّوم.

فهم ينفون دخول الموحد مرتكب الكبيرة الجنة، وأنه من أهل النار وخالداً فيها، ويحتجون بأنه لايستوى أهل الجنة وأهل النار، في قولة تعالى: (لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠)الحَشْر.

كأنه قيل: لا يستوي أصحاب النار مع أصحاب الجنة، ومن ذلك: (هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ)الرَّعْد ، ودلت الآية على أن صاحب الكبيرة لا يدخل الجنة إلا إن تاب، قالته المعتزلة قالوا: لو دخلها لكان صاحب النار وصاحب الجنة مستويين، وقولهم: لو دخلوها لا ستوى بصاحب الجنة لو صح أنه صاحب نار تحقيقاً، ودخل الجنة وكونه صاحب نار بحسب الظاهر، وفي الجملة هو

[١٩] تفسير كتاب الله العزيز، لشيخ هود بن محكم الهواري، (٢١٧/٣)، تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

[٢٠] تفسير كتاب الله العزيز، (٤٦٨/١).

[٢١] تفسير كتاب الله العزيز، (٤٨١/٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

نفس الدعوى، ويجاب من جانبهم أنه قد صح من الآيات والحديث أن صاحب الكبيرة يدخل النار، فهذه الآية أتت على ذلك[٢٢].

ودلل امحمد اطفيش على أن مرتكب الكبيرة خالد في النار لايخرج منها أبداً، في قولة تعالى: (وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦)الانفِطَار ، لا يغيبون عنها بالخروج؛ إذ لا خروج لهم منها كما قال جل وعلا: (وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۚ)المَائِدَة ، ولا موت فيها، فالآية دليل على خلود الفاسق كما يخلد المشرك لما مر أن الفجار شامل للفساق، والشفاعة للمطيعين لا لأهل الكبائر[٢٣].

ويقول سيف المعولي[٢٤]، أحد علماء الإباضية: (إن الإباضية يعتقدون الخلود في النار، فالإباضية يعتقدون أن كل من فعل الكبائر والفواحش، ومات مصراً عليها ولم يتب منها فهو خالد مخلد في النار، حكماً من كتاب الله تعالى، فهل يسمى الزاني والسارق إلا فاجراً؟ قال تعالى: (وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦)الإنفِطَار، وقال تعالى مخبراً عن اليهود بقولة: (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١)[٢٥] (البَقَرَة).

وفي قولة تعالى: (۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧)يونُس.

---

[٢٢] داعي العمل ليوم الأمل، امحمد اطفيش، (٢/ ١٤٧-١٤٨).

[٢٣] داعي العمل ليوم الأمل، امحمد اطفيش، (١٦٧/٤).

[٢٤] هو الشيخ العلامة سيف بن راشد بن نبهان بن سيف بن سليمان بن سعيد بن نافع بن سعيد بن سليمان بن عدي المعولي، وقبيلة معولة من القبائل العريقة المعروفة منذ القدم، كان منها ملوك وعلماء عُمان، ولد في اليوم الثامن عشر من شهر ذي القعدة عام ١٣٢٩ه، في بلدة (أفي) في وادي المعاول، ترعرع ونشأ فيها، كان شغوفاً بالعلم منذ صغره وختم القرآن بعمر سبع سنوات على يد سيف بن سالم المعول، لم يتفرغ للتأليف إلا هذه الرسالة(النور الواضح)، بل كرس جل حياته في تعليم الناس واشتغل بالقضاء وفي محكمة الاستئناف، توفي يوم الخميس العاشر من شهر رجب ١٤٢٢ه. انظر: ترجمة المؤلف في مقدمة النور الواضح، سيف المعولي، الطبعة الأولى:١٤٣٨ه-٢٠١٧م، مكتبة خزائن الآثار.

[٢٥٢٥] النور الواضح، سيف المعولي، ص ٢٥-٢٦، مكتبة خزائن الآثار، الطبعة الأولى:١٤٣٨ه-٢٠١٧م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

(لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ) بالعمل والتقوى (ٱلۡحُسۡنَىٰ) بمعنى الجنة (وَزِيَادَةٞۖ) دوام رضاء الله عليهم، أو غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب، كما روي عن علي وجابر بن زيد، أو ما في الدنيا لا يحاسبهم عليه كما حاسب الكفار، أو المغفرة أو الحسنى مقابل الحسنة، والزيادة التسع فصاعداً فإن الحسنة بعشر إلى سبع مائة وأكثر، كقولة تعالى: (وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ)ق ، ويدل له أنه قابلة بقولة تعالى: (جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا)[٢٦].

يقول اطفيش: (وفي الآية دليل على خلود الفاسق في النار، فلو كان يخرج لنا في هذه الآية، لأنه إذا دخلها يرهق بالقتر ويذل، وكذلك إذا قلنا: المعنى لايرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال، وقولهم: المراد في الآية نفي الدوام حتى لا تنافي خروج الفاسق دعوى بلا دليل)[٢٧].

وفسروا آيات القرآن بماذهبوا إليه في مرتكب الكبيرة ومات عليها قبل التوبة، فهو خالد مخلد في النار ولايخرج منها، كما جاء في قولة تعالى: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩)الفُرۡقَان.

ذكروا عن الحسن قال: لما نزل في قاتل المؤمن، وفي الزاني وأشباه ذلك ما نزل، قال أصحاب النبي: أينا لم يزن، أينا لم يفعل، وتخوفوا أن يؤخذوا بما كان منهم في الجاهلية، فأنزل الله: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ) أي: بعد إسلامهم، (وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ) أي: بعد إسلامهم، (وَلَا يَزۡنُونَۚ) أي: بعد إسلامهم، وأنزل قولة تعالى: (۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ)الزُّمَر :، أي: بالشرك والكبائر الموبقة (لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ) إن تبتم إليه (إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) لمن تاب إليه، الرحيم به إذ جعل له متاباً، أي: مرجعاً و مخرجاً، (وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُ)الزُّمَر ، يغفر لكم ما كان منكم في الجاهلية، وأنزل الله في هذه الآية: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ)[٢٨].

و قوله: (يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠)الفُرۡقَان.

---

[٢٦] تيسير التفسير، احمد اطفيش، (٦/ ٢٢٧)
[٢٧] تيسير التفسير، احمد اطفيش، (٦/ ٢٢٨)
[٢٨] تفسير كتاب الله العزيز، (٢١٨/٣).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ذكر الحسن في قولة في سورة طه:٨٢ (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ)طه ، أي: من الشرك (وَءَامَنَ) أي: أخلص الإيمان لله، (وَعَمِلَ صَٰلِحًا) أي: في إيمانه، وقال بعضهم: إلا من تاب من ذنبه، وآمن: أي بربه، وعمل عملاً صالحاً، أي: فيما بينه وبين الله، (فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ)أي: يبدل الله مكان الشرك الإيمان، ومكان العمل السيء العمل الصالح، وقال بعضهم: فأما التبديل في الدنيا فطاعة الله بعد عصيانه، وذكر الله بعد نسيانه، والخير يعمله بعد الشر، وقوله: (وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ٧١)الفُرْقَان ، أي: يقبل الله توبته إذا تاب قبل الموت. كقوله في سورة النساء: (وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ)النِّسَاء ، ويقال: تقبل التوبة من العبد ما لم يغرغر[٢٩].

وفي قولة تعالى: (إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ٢٤)الجِن.

(وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ) بالإشراك أو بالكبيرة مصراً عليها، (فَإِنَّ لَهُۥ) للعاصي، واللام للاستحقاق (نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ) حال مقدرة من ضمير الاستقرار، والجمع لمعنى"من"، (فِيهَآ أَبَدًا) بلا نهاية، (حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ) من الوعد، لأنه يستعمل في الشر والخير، أو من الوعيد، أو من الإيعاد، والمراد: عذاب جهنم، وقيل: يوم بدر، ويدل للأول قولة: (قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥)الجِن[٣٠].

يعتقد علماء الإباضية أن مرتكب الكبيرة، ومقترف االمعاصي والذنوب، الذي يموت عليها، فهو خالد مخلد في نار جهنم، لا يخرج منها بسبب تفريطه لأمر الله، وإصراره على كبيرته، ولا يدخلون في الشفاعة[٣١]، ومن أقوالهم في ذلك، ما ذكر في شرح بهجة الأنوار:

ومن عصى ولم يتب يخلد في النار دائما بهذا نشهد

ومعناه من عصى الله تعالى ولم يتب من ذنبه حتى مات فهو مخلد في النار فنشهد عليه بذلك والله اعلم.

---

[٢٩] تفسير كتاب الله العزيز، (٣/٢١٨-٢١٩).

[٣٠] تيسير التفسير، امحمد اطفيش، (١٥/٣٥٢).

[٣١] انظر: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ابن ادريسو مصطفى ابن محمد بن صالح، ص٤٣١، المطبعة العربية ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وكافر بنعمه من فرقا ما بين ذي شرك ومن قد فسقا
أعني لدى الخلود والفرق نشا لدى منازل العباد وفشا

معناه من قال أن المشركين مخلدون في النار وما عداهم من الفسقة الموحدين غير مخلدين فيها فهو كافر كفر نعمة إن كان متأول وكافر كفر شرك إن كان غير متأول ولكن الفرق نشا في منازل العباد كل يعذب بقدر عمله لا في نفس لأن كلاً مخلدون فيها[٣٢].

كما ذكرها في تفسير هيميان الزاد: في قولة تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ)البَقَرَةِ ، ولا يخفى أن النفس التي ذكرها الله عز وجل أنها لا تجزي عنها نفس ولا يقبل شفاعة شافع لها ولا فداء، ولا تنصر هي التي أوبقتها معاصيها وماتت مصرة عن حق لزمها، فكل نفس بهذه الصفة لا شفاعة فيها مشركة أو فاسقة، فلا شفاعة لأهل الكبائر المصرين[٣٣].

يقول: سعيد الكندي، في قولة تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨)البَقَرَةِ.
(وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي) أي: يوم القيامة، (نَفۡسٌ) مؤمنة، (عَن نَّفۡسٖ) كافرة (شَيۡـٔٗا) أي لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق التي لزمتها شيئا، (وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ) عن أن يطمع في الشفاعة مرتكب الكبائر، (وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ) أي فدية لأنها معادلة للمفدي؛ أو ولا يقبل منها عمل بطاعة لأنها غير مطيعة، (وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ) يعانون[٣٤].

ويقول هود بن محكم، في تفسير قولة تعالى: (مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨)غَافِر.
(مَا لِلظَّٰلِمِينَ) أي: المشركين، (مِنۡ حَمِيمٖ) من قرابة، وقال مجاهد: الحميم: الشفيق، وقال الحسن: ما له من حميم، أي: يحمل عليهم من ذنوبهم شيئاً، (وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ) أي: لا يشفع لهم أحد، ليس يعني يشفع فلا يطاع، وإنما الشفاعة للمؤمنين[٣٥].

---

[٣٢] شرح مختصر على بهجة الأنوار، تلقاه شفاهياً تلامذة الشيخين العلامتين أبي عبيد السليمي وخلفان بن جميل الشيابي، العدد٣٠، ابريل ١٩٨٢م، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عُمان.
[٣٣] هيميان الزاد إلى دار المعاد، محمد بن يوسف الإباضي، (٢٣/٢).
[٣٤] التفسير الميسر للقرآن الكريم، سعيد الكندي (٥١/١).
[٣٥] تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم (٥٨/٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وذكر امحمد اطفيش عند تفسير الآية ٤٨ من سورة البقرة: (والآية دليل لنا وللمعتزلة على أن لا شفاعة لأهل الكبائر؛ لأن الآية ولو كانت في المشركين، لكنها في وصف يوم من شأنه أنه لا شفاعة فيه بدفع العذاب عن مستحقه، ولا مقام أو زمان من مقامات الموقف وأزمنته نصَّ على ثبوتها للفساق ولا لشخص مُصر)[٣٦].

ونفى الشفاعة عن أهل الكبائر في تفسير قولة تعالى: (يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩) الانفِطَار ، قال: (والآية تدل على أنه لا شفاعة لأهل الكبائر الميتين على الإصرار، وكان الناس في الدنيا يبغي بعض على بعض، ويحمي بعض بعضاً على الباطل، فأخبرنا الله أن ذلك لا يكون يوم الدين فانتفاء ذلك فيه مما يزيد في تهويله؛ لأنه لا ينفع فيه أحد أحداً بشيء من مال أو عناء أو ولد أو عبد أو كلام أو جاه أو هبة حق أو غير ذلك، وقد كان لهم ذلك في الدنيا، وذلك على ملك النفع كحال الدنيا، وأما بلا ملك فقد تقع فيه الهبة إذ أذن الله فيها لأحد أو وهب، فأجاز له الله عزوجل)[٣٧].

ومما استدلوا به على أن الشفاعة تكون للمؤمنين، ونفيها عن مرتكب الكبيرة الذي مات عليها، كما في قولة تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨)البَقَرَةِ.

قولة: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا) أي: لا تفديها، (وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ) لأن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين، (وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ) أي: فداء، كقولة: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا)المَائِدَة ، أي: من فضة وذهب، (وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ) المَائِدَة، وكقولة: (وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ)الأَنْعَام ، وإن تفد بكل فدية ما تقبل منها[٣٨].

وفي قولة تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ) البَقَرَةِ ، لا تغني عنها شيء إغناء ما أو لا تدفع عنها شيئا بقوتها، أو بأعوان لها لو كانوا (وَلَا يُقۡبَلُ) فيه (مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ) أي: لا شفاعة للنفس الأولى في الثانية، فضلاً عن أن تُقبل منها، والجملة السالبة تصدق بنفي الموضوع، قال جل وعلا: (فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ) (٣٩)الشُّعَرَاء.

---

[٣٦] تيسير التفسير، امحمد اطفيش (١١٨/١).
[٣٧] داعي العمل ليوم الأمل، امحمد اطفيش (١٧١/٤).
[٣٨] تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم (١٠٣/١).
[٣٩] تيسير التفسير، امحمد اطفيش (١١٨/١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وفي قولة تعالى: (فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨)المُدَّثِّر .
(فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ) عطف على تفسير (كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨)المُدَّثِّر : ، أو على محذوف أي: استوجبوا سقر فما تنفعهم شفاعة الشافعين؛ بمعنى أنه لو شفع لهم كل شافع من الملائكة والثقلين لم تنفعهم؛ لأنها لا تقبل، أو الكلام كناية عن انتفاء الشفاعة فضلاً عن قبولها كما نقول: السالبة تَصدق بنفي الموضوع، وهو هنا الشفاعة كأنه قيل: لا شفاعة، وأيضاً نفي نفعها للمسبب و اللازم مكان نفي السبب والملزوم وهو الشفاعة[٤٠].

أما ما استدلت به المعتزلة على أن مرتكب الكبيرة، الذي يموت عليها خالد مخلد في نار جهنم، ولا يمكن أن يخرج منها أبداً، يقول القاضي عبدالجبار الهمداني[٤١]، في تفسير قولة تعالى: (وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦)الانفِطَار، يدل على أن الفاجر من أهل الصلاة مخلد في النار، لأنه إذا لم يغب عن النار، ولم يمت فهو كائن فيها، ويدل على أن الشفاعة لا تكون منه ﷺ لهم وإلا لم يكن ليعم كل فاجر بهذا الحكم[٤٢].

وفي قولة تعالى: (وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦)الأَعۡرَاف.

طعن الجبائي، والقاضي في هذا القول واحتجوا على فساده بوجهين: الأول أن قولة تعالى: (۞ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣)الأَعۡرَاف ، يدل على أن كل من دخل الجنة فإنه لابد وأن يكون مستحقاً لدخولها-أي لم يرتكب كبيرة ولم يمت عليها-، وذلك يمنع من القول بوجود أقوام لا يستحقون الجنة والنار، ثم إنهم يدخلون الجنة بمحض التفضيل لا بسبب الإستحقاق[٤٣].

وفي قولة تعالى: (إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨)المَائِدَة.

ومن ذهب إلى أن قول الله: (يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٦)المَائِدَة ، إخبار عما مضى وأن الله قال ذلك عندما رفعة إليه، قال: إنما عنى عيسى إن تعذبهم

---

[٤٠] داعي العمل ليوم الأمل، امحمد اطفيش، (٣/٣٥٠-٣٥١).
[٤١] تمت الترجمة في الفصل الأول من هذا البحث.
[٤٢] تنزية القرآن عن المطاعن، للقاضي عبدالجبار، ص٤٥٨، تحقيق: د.أحمد السايح و المستشار: توفيق علي وهبه، مكتبة النافذة، ط١/ ٢٠٠٦م.
[٤٣] تفسير القاضي عبدالجبار المعتزلي، وهو التفسير المسمى التفسير الكبير أو المحيط، ص١٨٧-١٨٨.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

بمقامهم على معصيتك فإنهم عبادك وإن تغفر لهم بتوبة تكون منهم، لأن القوم كانوا في الدنيا، لأن عيسى لم يشك في الآخرة أنهم مشركون وقد انقطعت التوبة، وإنما قال ذلك في الدنيا وجعل قول الله تعالى: (هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ)المَائِدَة ، جواباً للرسل حين سألهم ماذا أجبتم (قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ)المَائِدَة ، فصدقهم الله في ذلك، ومثل ذلك قال عمرو بن عبيد، والجبائي والزجاج وكلهم شرطوا التوبة[٤٤].

ويقرر القاضي عبدالجبار مذهبة في تفسير قولة تعالى: (تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣)مَرۡيَم ، قال فيه دلالة على أن الجنة يختص بدخولها من كان متقياً والفاسق المرتكب للكبائر لا يوصف بذلك[٤٥].

وفي قولة تعالى: (۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦)البَقَرَة.

والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر، وقالوا: إن أوّل من حدّ له هذا الحدّ أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه. وكونه بين بين: أنّ حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين. وهو كالكافر في الذمّ واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته، وأن لا تقبل له شهادة. ومذهب مالك بن أنس والزيدية: أنّ الصلاة لا تجزىء خلفه.ويقال للخلفاء المردة من الكفار: الفسقة. وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله(بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ)الحُجُرَات ، يريد اللمز والتنابز (إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ)التَّوۡبَة [٤٦].

يقول تعالى: (بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١)البَقَرَة .

وحقيقة (بلى): الرد للنفي استفهاماً كان أو خبراً أو نهياً، فالاستفهام كقولة تعالى: (أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ)الإِسۡرَاء الآية، وكقولة: (أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠)القِيَامَة ، جوابه"بلى"، ولفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التقرير، أما

---

[٤٤] تفسير أبي علي الجبائي، ص٢٠٢-٢٠٣، تحقيق محمد خضر نبها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.

[٤٥] تفسير القاضي عبدالجبار المعتزلي، وهو التفسير المسمى التفسير الكبير أو المحيط، ص٢٧٦.

[٤٦] تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوة التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (٦٨/١)، دار المعرفة- بيروت، ط٣، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الخبر كقولة تعالى: (لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ)البَقَرَةِ ، جوابة "بلى"، والنهي: لا تلق زيداً؟ جوابه: بلى لقيته، والفرق بين (بلى) و(نعم): أن (بلى) جواب النفي، و(نعم) جواب الإيجاب، واختلفوا في أصله، فقيل: أصلة بل زيدت الألف ليصلح عليه الوقوف، ويخرج عم معنى الظرف، والمحققون من النجاة ينكرون ذلك؛ لأنه لا يحكى بزيادة الألف حتى يجاوز الثلاثة، و(بلى) تقوم مقام الخبر، وتدل على الجواب، وتختص بالحجة، وليس كذلك "بل"، وقيل: "بل" تنفي الخبر الماضي، وتثبت الخبر في المستقبل[٤٧].

تدل الآية على أن الكبيرة يستحق فاعلها النار ومن مات عليها يخلد في النار ولا يمكن الخروج منها أبداً، إلا من تاب من خطيئته وكبيرته؛ لأن التوبة تزيلها[٤٨].

وقوله تعالى: (بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢)البَقَرَةِ.

(بلى) تدخل في جواب الاستفهام كقولة تعالى: (أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ) الأَعۡرَاف ، فأما ههنا فدخلت على تقدير: أَمَا يدخل الجنة أحد؟ فقيل: بلى من أسلم؛ لأن ما تقدم يقتضي هذا السؤال، ويحتمل أن يكون جواباً للحجة على التكذيب، كقولك: ما قام زيد، فيقول: بلى[٤٩].

وتدل على أن الجنة تنال بالإيمان مع الإحسان في العمل، بشرط ترك الكبائر، لأن من ارتكب الكبيرة فليس بمحسن[٥٠].

يثبتون المعتزلة شفاعة النبي محمد ﷺ، إلا أن الشفاعة لاتكون لمرتكب الكبيرة الذي مات عليها بلا توبة، بل الشفاعة تكون لتائبين من المؤمنين، واستدلوا على ذلك[٥١].

قال تعالى: (وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨)غَافِر.

---

[٤٧] التهذيب في التفسير، للإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي، (٤٥٧/١)، تحقيق: عبدالرحمن السالمي، دار الكتاب المصري – القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط١، ١٤٣٩/١٤٤٠ه- ٢٠١٨/٢٠١٩م.

[٤٨] انظر: التهذيب في التفسير، للجشمي،(٤٥٩/١-٤٦٠).

[٤٩] تهذيب التفسير، للجشمي، (٥٥٣/١).

[٥٠] انظر: تهذيب التفسير، للجشمي، (٥٥٤/١).

[٥١] ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار الهمداني، ص٦٨٧ فما بعدها، تحقيق: عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦ه-١٩٩٦م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أن الشفعاء هم أولياء الله، وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلاّ من أحبه الله ورضيه، وأنّ الله لا يحبّ الظالمين، فلا يحبونهم، وإذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم. قال الله تعالى: (وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ)البَقَرَةِ ، قال تعالى: (وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ)الأَنبِيَاء ، ولأن الشفاعة لا تكون إلاّ في زيادة التفضل، وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب، بدليل قوله تعالى: (وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ)النِّسَاء ، وعن الحسن رضي الله عنه :والله ما يكون لهم شفيع البتة،..... وكذلك قوله: (وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ) معناه: كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع، فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع: وضعاً لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي أن يتوهم خلافه[٥٢].

وقولة تعالى: (وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠)هُود.

لا تجوز الشفاعة عند الله في دفع العقاب بقول نوح علية السلام: (مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ) هُود، معناه إن كان هذا الطرد محرماً فمن ذا الذي ينصرني من الله، أي من الذي يخلصني من عقابه، ولو كانت الشاعة جائزة لكانت في حق نوح عليه السلام أيضاً جائزة وحينئذ يبطل قولة: (مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ)هُود[٥٣].

وقولة تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨)البَقَرَةِ .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وإحدى الروايتين عن عاصم:" ولا تقبل منها شفاعة" بالتاء لتأنيث الشفاعة، وهو الأصل والاختيار. وقرأ الباقون بالياء، والوجه فيه أن الفعل المؤنث دخل بينهما فاصل مع تقدم الفعل، ولأن التأنيث في الشفاعة غير حقيقي؛ إذ كان ليس على أنثى من الحيوان بإزائها ذكر، ولأنه تقدم الفعل على المؤنث، فشبه ذهاب علامة التأنيث للتقديم ذهاب علامة التثنية والجمع في التقديم، كقولة تعالى: (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ)النِّسَاء.

الشفاعة والوسيلة والقربة نظائر، يقال: فلان يشفع فيه، وفلان يغري به، فهما كالنقيضين، يقال: شفع شفاعة، والشفع من العدد ما كان زوجاً، ومنه: (وَٱلۡوَتۡرِ) الفَجْر ، وقيل: أصل الشفع الزوج، ومنه الشفاعة، وقيل: أصلة الضم، فعلى الأول كأن

---

[٥٢] تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوة التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (٩٥٣/٢٤)، دار المعرفة- بيروت، ط٣، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م.

[٥٣] تفسير أبي علي الجبائي، ص٣٠٨.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الشفيع زوج الطالب، وعلى الثاني كأنه مضموم إليه، والشفاعة ثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بإجماع الأمة.
والأخذ والقبض بمعنى، وضده الإعطاء.
والعدل: المرضي من الناس، والعدل ضد الجور، يقال: رجل عَدْلُ، ورجلان عَدْلُ، ورجال عَدْلٌ، وامرأة عدل، يستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والجمع، وأصل العدل: الإستقامة، وسمي العدل لاستقامته، وعديل الشيء: نظيره، والعدل الفدية، وسمي بذلك لأنه يعادل المفتدى ويماثله، قال تعالى: (أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا)المَائِدَة.
والآية تدل على عظم حال القيامة لما ذكر من تأييس للعصاة من الناصر، وأخذ الفدية، وقبول الشفاعة، وتدل على وجوب اتقاء ذلك اليوم باتقاء المعاصي والكبائر، فتدل على أن صاحب الكبيرة لا يكون له شفيع[٥٤].

يقول الكرماني[٥٥] في قولة تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨)البَقَرَةِ ، هذه الآية والتي قبلها متكررتان، وإنما كررت؛ لأن كل واحدة منهما صادفت معصية تقتضي تنبيهاً ووعظاً؛ لأن واحدة وقعت في غير وقت الأخرى، والمعصية الأولى: (۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ)البَقَرَةِ ، والثانية: (وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ)البَقَرَةِ[٥٦].

والزيدية أجمعت على أن أصحاب الكبائر كلهم معذبون في النار خالدون فيها مخلدون أبدًا لا يخرجون منها ولا يغيبون عنها[٥٧].

---

[٥٤] التهذيب في التفسير، للإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي، (٣٦٩/١-٣٧٢)، تحقيق: عبدالرحمن السالمي، دار الكتاب المصري – القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط١، ١٤٤٠/١٤٣٩ه- ٢٠١٩/٢٠١٨م.

[٥٥] محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم، برهان الدين الكرماني، يعرف بتاج القراء، لم يعرف تاريخ ولادته، وأرجح الأقوال في وفاته سنة ٥٠٥ه، له عدة مؤلفات منها: العجائب والغرائب، الايجاز مختصر الإيضاح للفارسي، والبرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان. انظر: مقدمة كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن، برهان الدين أبي القاسم محمود الكرماني، تحقيق: السيد الجميلي، مركز الكتاب، مصر، ١٤١٥ه-١٩٩٤م.

[٥٦] البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني، ص٢٤، تحقيق: السيد الجميلي، مركز الكتاب للنشر، مصر.

[٥٧] موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، عبدالمنعم الحفني، ص٢٣٩، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.وانظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن الأشعري، (٧٥/١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يقول القاسم بن محمد[٥٨] في شفاعة النبي محمد ﷺ:(أئمتنا عليهم السلام، وجمهور المعتزلة: وشفاعة النبي صلى الله علية وسلم لأهل الجنة من أمته يرقيهم الله تعالى بها من درجة إلى أعلى منها، ومن نعيم إلى أسنى منه، وأما من أدخله الله النار فهو خالد فيها أبداً)[٥٩].

فالقاسم يقرر عقيدة الزيدية، في خلود مرتكب الكبيرة في النار، ولا يمكن أن يخرج منها أبداً إذا مات عليها، بل إن شفاعة النبي محمد ﷺ لا تخرج مرتكب الكبيرة من النار، وإن أقر بها في غير الكبيرة.

سئل المنصور بالله في شفاعة لمن هي من الخلق؟ أجاب: إن الشفاعة لا تكون لمن يستحق النار من الفساق والكفار، لقولة تعالى: (مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨)غَافِر ، وهم ظالمون بالإجماع وقد نفى الله سبحانه طاعة شفيعهم، فلا يجوز أن يشفع لهم النبي ﷺ، إن أطيع أثبتنا ما أخبر الصادق سبحانه بنفيه وذلك لايجوز، وإن لم يطع كان تصغيراً لمنزلته وذلك لا يجوز، ولا مخلص من ذلك إلا القضاء بأنه لا شفاعة لهم، وإنما تكون للمؤمنين ليزدادوا نعيماً إلى نعيمهم[٦٠].

بل إن من مات على كبيرة ولم يتوب منها، فهو خالد مخلد في النار لأنه ختم أعمالة بكبيرة ولو كان يعمل من الصالحات والطاعات السابقة لتلك الكبيرة التي لم يتوب منها قبل مماته.

يقول المنصور بالله[٦١]: (إن الأعمال بخواتمها، فإن ختم عملة بالتوبة هدمت ما تقدم وإن كافراً، وإن ختمه بكبائر المعاصي أسقطت ما قبلها، على أنه لا بد من

---

[٥٨] المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحي بن محمد بن يوسف الأشل بن القاسم، الهدوي، القاسمي، اليمني، أبو محمد العلامة، ولد عام سبع وستين وتسعمائة، كفلته أم الغيث بنت علي عمته، توفي سنه تسع وعشرين وألف. انظر: طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، (٨٦٠/٢)، تحقيق: عبدالسلام بن عباس الوجية، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، ط١/ ١٤٢١ه-٢٠٠١م.

[٥٩] الأساس لعقائد الأكياس في معرفة رب العالمين وعدله في المخلوقين وما يتصل بذلك من أصول الدين، الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي، ص١٦٩، مكتبة أهل البيت، اليمن- صعدة، الطبعة الثانية/١٤٣٦ه.

[٦٠] مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان عليهم السلام، ص٣٣٥، تحقيق: عبدالسلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن-عمان، الطبعة الأولى/١٤٢٢ه-٢٠٠٢م.

[٦١] عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن أبي هاشم الحسن بن عدالرحمن بن يحي بن عبدالله بن الحسين بن القاسم، الإمام المنصور بالله، ولد عام٥٦١ه، لم يعرف في حال

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الحساب بالحسن والقبيح، ولكن الكبيرة من الحسنات- ولا نعلمها إلا التوبة- تستغرق أجزاؤها أجزاء المعصية ويبقى منها فضلة، وكذلك الكبيرة من المعاصي تستغرق أجزاؤها الطاعة وتبقى فضلة)[٦٢].

الزيدية تأثرت وأخذت بقول المعتزلة في مرتكب الكبيرة، وأنه في منزلة بين المنزلتين لامؤمن ولا كافر بل هو فاسق.

يذكر يحي بن الحسين[٦٣] أن المسلمين أصناف وهم خمسة: الشيعة، والمرجئة، والخوارج، والمعتزلة، والعامة، فقد شهدت لهم هذه الفرق كلها في أصل شهادتهم بما يقولون، ثم نقض ذلك بعضهم، يقول: فأقمنا على أصل ما شهدوا لنا به، ولم ننقض ذلك كما نقضة بعضهم[٦٤].

ومما ذكره شهادتهم في المنزلة بين المنزلتين، يقول:(وقولنا: إن أهل الكبائر من أهل الصلاة فساق فجار أعداء الله، ظلمة معتدون، فإنهم شهدوا لنا بذلك، فشهدنا بما شهدوا.....وقالت المعتزلة: هم فساق وفجار، لا يبلغ بهم فسقهم كفراً ولا شركاً ولا نفاقاً، وكذلك قالت المرجئة والعامة، وقالت المعتزلة أيضاً: لا يجب لهم اسم الإيمان مع الفسوق، وكذلك قالت الخوارج والشيعة الزيدية، فوجدناهم كلهم قد أجمعوا على شهادة واحدة: أنهم فساق فجار معتدون، فأخذنا بما أجمعوا علية ن ذلك، وتركنا ما اختلفوا فيه مما كذّب فيه بعضهم بعضاً، فسميناهم فساقاً فجاراً، وبرأناهم من الكفر

صغره اشتغالاً بشيء من اللعب كعادة الصبيان، ختم القرآن ثم قرأ في اللغة والنحو وبلغ فيهما مبلغاً عظيماً، توفي عام ٦١٤ه. طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، (٥٩٦/١)، تحقيق: عبدالسلام بن عباس الوجية، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، ط١/ ١٤٢١ه-٢٠٠١م.

[٦٢] مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان عليهم السلام، ص٣٣٦، تحقيق: عبدالسلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن-عمان، الطبعة الأولى/١٤٢٢ه-٢٠٠٢م.

[٦٣] يحي بن الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد الحسني، الهدوي، الصنعاني، اليمني، السيد العلامة، ولد عام ١٠٣٥ه، قرأ في الفقة على السيد أحمد الشامي، وعلى السيد الحسين بن محمد التهامي، توفي ١١٠٠ه. طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، (١٢٢٠/٣)، تحقيق: عبدالسلام بن عباس الوجية، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، ط١/ ١٤٢١ه-٢٠٠١م.

[٦٤] انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم، تقديم: مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي، ص١٧٤، مكتبة أهل البيت، اليمن-صعدة، الطبعة الأولى١٤٤٣ه-٢٠٢١م. وانظر: المنزلة بين المنزلتين، يحي بن الحسين بن القاسم، ص١١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، اليمن- صنعاء الطبعة ١، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

والشرك والنفاق، إذ كانوا فيه مختلفين ولم نوجب لهم اسم الإيمان إذ كانوا عليه عند إصابتهم الكبائر غير مجتمعين، ولم يكن في شيء من اختلافهم حجة من حجج رب العالمين، فهذا ديننا وحجتنا على من خالفنا في المنزلة بين المنزلتين)[٦٥].

ويتبين مما سبق أن الزيدية لايطلقون مسمى المؤمن ولا الكافر على مرتكب الكبيرة، بل هو فاسق، وبذلك سلكوا مسلك المعتزلة في تسمية مرتكب الكبيرة بالمنزلة بين المنزلتين لاهو مؤمن ولا كافر بل هو فاسق. وهو القول المشهور عن الزيدية[٦٦].

وأجمعت الزيدية على تسمية مرتكب الكبيرة فاسق، ليس كافر حتى لاتطبق علية أحكام الدنيا من القتل وأخذ المال، ولا يمكن إطلاق اسم الإيمان عليهم، يقول الحسين بن بدر الدين: (أسميهم فساقاً ومجرمين، وطغاة وظالمين، لإجماع الأمة على تسميتهم بذلك، ولا أسميهم كفاراً على الإطلاق ولا مؤمنين لفقد الدلالة على ذلك. وأدين الله تعالى بأنهم متى ماتوا مصرين على الكبائر، فإنهم يدخلون نار جهنم، ويخلدون فيها أبداً، ولا يخرجون منها في حال من الأحوال، لقولة تعالى: (إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤)الزُّخۡرُف، والفاسق عاصٍ كما أن الكافر عاصٍ، فيجب حمل ذلك على عمومة إلا ما خصه دلالة، وقولة تعالى: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩)الفُرۡقَان ، وإجماع العترة على ذلك، وإجماعهم حجة.....والفاسق: فهو مرتكب الكبائر سوى الكفر.....وأما حكمة فحكم الكافر، إلا القتل والقتال وأخذ الأموال، فلا يجوز إلا بحق، ولا يجوز قتله على الإطلاق، وكذلك حصره، وأما سباه فلا يجوز بحال من الأحوال)[٦٧].

وبذلك فإن الزيدية على مذهب المعتزلة في مرتكب الكبيرة، كما ذكر الشهرستاني: (أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة: حذو القذة بالقذة .ويعظمون أئمة

---

[٦٥] انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم، تقديم: مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي، ص١٧٧-١٧٨، مكتبة أهل البيت، اليمن-صعدة، الطبعة الأولى١٤٤٣ه-٢٠٢١م.

[٦٦] انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابة ومظاهرة، عبداللطيف عبدالقادر الحفظي، ص٤٥٢، دار الأندلس الخضراء- جدة، ط١، ١٤٢١ه-٢٠٠٠م.

[٦٧] انظر: العقد الثمين في معرفة رب العالمين، الأمير الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد، ص٥١-٥٤، تحقيق: إسماعيل بن مجدالدين بن محمد المؤيدي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن- صعدة، الطبعة ١، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت، وأما في الفروع؛ فهم على مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي رحمه الله والشيعة)[٦٨].

ويقرر القاسم بن محمد مذهب الزيدية في مرتكب الكبيرة الغير مخرجة من الملة يسمى فاسقاً اتفاقاً[٦٩]، ويقول:(أئمتنا عليهم السلام، وجمهور المعتزلة، والشافعي، وبعض الخوارج: والكبائر محبطات للإيمان فلا يبقى مؤمناً من ارتكب كبيرة)[٧٠].

ومما استدلوا به على أن مرتكب الكبيرة لا يسمى كافراً:

ما ذكره الهادي: (ذكر الله براءة أهل الكبائر من الكفر وبيّن أنهم ليسوا بكفار فقال عز وجل: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١)الأَنْعَام ، فأخبر أن الكفار بربهم يعدلون، وأهل الكبائر لا يعدلون بالله إلهاً آخر، وقال تعالى: (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣)الكَافِرُون ، وقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ١٢)غَافِر ، وأهل الكبائر لا يشركون بالله شيئاً، ولا يكفرون به، ولا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يعبدون غيره، إنما هم قوم أصابوا الكبائر على الشهوة منهم والإساءة، وهم لها محرّمون، فبذلك خرجوا من اسم الإيمان، ولم يدخلوا في اسم الكفر والجحدان، وقال: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢)الانشِقَاق، فبهذه الآيات ونحوها علمنا أن فسقة قومنا من أهل الصلاة ليسوا بكفار)[٧١].

---

[٦٨] الملل والنحل، لشهرستاني، (١/١٢٩-١٣٠).

[٦٩] الأساس لعقائد الأكياس في معرفة رب العالمين وعدله في المخلوقين وما يتصل بذلك من أصول الدين، الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي، ص١٦١، مكتبة أهل البيت، اليمن- صعدة، الطبعة الثانية/١٤٣٦ه.

[٧٠] الأساس لعقائد الأكياس في معرفة رب العالمين وعدله في المخلوقين وما يتصل بذلك من أصول الدين، الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي، ص١٥٩، مكتبة أهل البيت، اليمن- صعدة، الطبعة الثانية/١٤٣٦ه.

[٧١] مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم، تقديم: مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي، ص٢٠٠، مكتبة أهل البيت، اليمن-صعدة، الطبعة الأولى١٤٤٣ه-٢٠٢١م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وكذلك مااستدل به زيد بين علي[٧٢]: (قال تعالى: (لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨)التَّوْبَة ، فلو كان مؤمناً لكان النبي بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً. وقال عز وجل: (ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣)النُّور ، فلم يسمى الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة)[٧٣].

ومما فسروا فيه القرآن بالقرآن في مرتكب الكبيرة:

في قولة تعالى: (بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١)البَقَرَة.

(بَلَىٰۚ) أي بلى تمسكم أبداً بدليل قوله تعالى: (هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ). (مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ) من السيئات يعني كبيرة من الكبائر (وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ). وسأل رجل الحسن عن الخطيئَة فقال: "سبحان الله ألا أراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئَة انظر في المصحف فكل آية نهَاك الله تعالى عنها واخبرك انه من عمل بها دخل النار فهي الخطيئَة المحبطَة"[٧٤].وقولهُ تعالى: (بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ) معناهُ مَنْ ماتَ بذنبِهِ ولم يَتبْ منهُ. ويقالُ السّيئةُ: الشّركُ. والخَطِيئةُ :الكَبائرُ[٧٥].

وقولة تعالى: (ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ)النَّجْم .

---

[٧٢] هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، إمام الفرقة الزيدية، وفاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، ولد سنة ٧٥ه، وتوفي سنة١٢١ه.انظر: مقدمة تحقيق مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ص٥١، تحقيق: إبراهيم يحي الحمزي، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن- صعدة، الطبعة الأولى،١٤٢٢ه-٢٠٠١م. وانظر: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، عبدالمنعم الحفني، ص٢٣٧، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

[٧٣] مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ص١٣١، تحقيق: إبراهيم يحي الحمزي، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن- صعدة، الطبعة الأولى،١٤٢٢ه-٢٠٠١م.

[٧٤] تفسير الأعقم

[٧٥] غريب القرآن، زيد بن علي.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ثم وصف الذين أحسنوا فقال سبحانه: (ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ) قيل: ان أكثر ما يزيد عقابه على ثواب فاعله كالقتل والزنا ونحو ذلك، وقيل: لا يكفره إلا بالتوبة والفواحش كل قبيح فاحشة، وقيل: الزنا (إِلَّا ٱللَّمَمَۚ) قيل: الصغائر من الذنوب عمداً وسهواً ونظير هذه الآية قوله تعال:(إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ)النِّسَاء ، وهو قول أبي علي وأبو مسلم والقاضي، وقيل: هو ما ألمَّ على القلب أي خطر، وهو حديث النفس بشيء من غير عزم لأن العزم على الكبير كبيرة، فعلى هذا يكون إلاّ بمعنى لكن اللمم، وقيل: إلا بمعنى الواو (إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ) أي كثير المغفرة يكفر الصغائر باجتناب الكبائر بالتوبة (هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ) بأحوالكم، وقيل: هو أعلم بتفاصيل أموركم وأعمالكم فيجازيكم بها[٧٦].

وفي قولة تعالى: (وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨)الانفِطَار.

{ وإن الفجّار } العصاة المرتكبين الكبائر { لفي جحيم } في النار، والفجور اسم العصيان، يقال للزاني: فاجر { يصلونها } أي يحملونها للتعذيب { يوم الدين } يوم الجزاء { وما هم عنها بغائبين } بموت ولا خروج { وما أدراك ما يوم الدين } { ثم ما أدراك ما يوم الدين } كرر تأكيداً وتفخيماً لشأنه، وقيل: ما أدراك ما في يوم الدين من النعم لأهل الجنة وما أدراك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار وليس فيه تكرار[٧٧].

وقولة تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨)هُود .

{ فأما الذين شقوا ففي النار } جزاءاً على أعمالهم يخلدون فيها، (لهم فيها زفير وشهيق) ، قيل: الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف، قال جار الله: وقوله تعالى } :خالدين فيها ما دامت السموات والأرض } فيه وجهان أحدهما أن يريد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد، والدليل أن لها سموات وأرضاً، قوله تعالى: (يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ)إِبۡرَاهِيم ، وقوله: (وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۚ)الزُّمَر ، والثاني أن يكون عبارة

[٧٦] تفسير الأعقم
[٧٧] تفسير الأعقم

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

عن التأييد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دم لعار وما أقام ثير وما لاح كوكب، قال جار الله: فإن قلت: ما معنى الاستثناء بقوله: { إلاَّ ما شاء ربك } وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار خلود الأبد من غير استثناء؟ قلت: هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة، وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب وحده، بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها، وهو سخط الله عليهم وإهانته لهم، وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكثر منها وأجلّ موقعاً منها وهو رضوان الله تعالى كما قال: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢)التَّوْبَة ، وقوله تعالى: { إن ربك فعال لما يريد } يعني أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له، قوله تعالى: { غير مجذوذ } أي غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية[٧٨].

وفي قولة تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٧)آل عِمْرَان .

الشاهد: هُنا سلوا معشر من قال: بأن الله قد يرحم ويغفر لمن (يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) من أهل القبلة ويدخلهم جنات النعيم، ألا يرُدّ عليكم قول الله تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)آل عِمْرَان ، أليس في هذا دلالة على أنه جل شأنه سيمهلهم ولا يلتفت إليهم، ولا إلى نداءاتهم وتضرعاتهم؟! ألا يدل هذا على خلودهم في النار أبد الآبدين[٧٩].

وفي قولة تعالى: (وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ٦٤ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ٦٥ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ٦٦ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ٦٧)القَصَص .

الخطاب في هذه الآية عام في المشركين، ويدخل تحته التائبون من الشرك والتائبون من الشرك معلوم أنهم أصبحوا-لا شك- مسلمين، فهنا يخاطب الله تعالى المسلمين التائبين من الشرك، بقولة: (فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ٦٧)القَصَص، وهذا يدخل تحته أيضاً المسلمون التائبون من

[٧٨] تفسير الأعقم

[٧٩] صدق الوعد في ميزان الثقلين، الكاظم الزيدي، ص٣٦٢-٣٦٣.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الكبائر الموبقة، وعليه تأمل قولة تعالى: (فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ) أي فعسى أن يكون أولئك المشركون أو الفسقة بتوبتهم وعملهم الصالح من المفلحين، أي من المغفور لهم، والمرضي الحال، وهذا هو ما نسميه بالرجاء، فالرجاء: هو طلب المغفرة والقبول من الله تعالى، وأن يكفر السيئات والذنوب صغيرها والكبير، وشرط قبول الرجاء: التوبة، فالإيمان والعمل الصالح، فليس يرجى لعاصٍ قبول يوم القيامة أبداً، والرجاء بهذا المفهوم هو مذهب أهل البيت، كما في قولة تعالى: (رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨)البَقَرَةِ ، وكقولة تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧)الإِسۡرَاء[٨٠].

وقولة تعالى: (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧)البَقَرَةِ.

(فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ) هذه الكلمات مبهمة تلقاها آدم أي قبلها أو تلقنها، فكانت سبباً لأن يتوب عليه، ولعلها دعوته إلى التوبة، والإيحاء أن يقولا: (رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣)الأَعۡرَاف ، أو إعلامة أن قد عصى، بقولة تعالى: (أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢)الأَعۡرَاف ، قال الشرفي في (المصابيح):" واختلفوا في تلك الكلمات ما هي؟ فقال الهادي: والصحيح عندنا: أن الكلمات هو ما كان الله قد أعلمه بخلق من سيخلفه من ذرية آدم ونسله، وأنه سيكون منهم مطيع ويكون عاصٍ باختيارهم، وأنه سبحانه يقبل التوبة من تائبهم إذا تاب وأخلص التوبة وراجع"[٨١].

من اقترف كبيرة عند الزيدية وجب علية التوبة قبل الموت، لأن من مات عليها دخل النار ولايخرج منها أبداً.

يقول صاحب تفسير الثمرات اليانعة في تفسير قولة تعالى: (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧)البَقَرَةِ.

عظم هذه الكلمات وفضلها؛ لأنه تعالى جعلها ماحية للخطيئة، ورتب عليها التوبة على آدم عليه السلام. واختلف ماهي؟ فقيل: هي قولة: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا

[٨٠] صدق الوعد في ميزان الثقلين، الكاظم الزيدي، ص٣٨٢-٣٨٣.

[٨١] التيسير في التفسير، بدر الدين بن أمير الدين الحوثي، (٧٧/١)، تحقيق: عبدالله العزي، ومحمد ببن بدر الدين الحوثي، ط١، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣)الأَعْرَاف، ... وإن قيل: ماحكم التوبة من الصغائر؟ قلنا: اختلف في ذلك، فقال أبو هاشم: لا تجب عقلاً، ولكنها تحسن من طريق السمع؛ لأن في ذلك استدراك ما فات من الثواب. وقال أبو علي: تجب عقلاً لئلا يكون مصراً، والإصرار كبيرة، وقيل: إن فيها لطفاً فلذلك وجبت[٨٢].

وقال تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨)البَقَرَةِ .

يعني اتقوا شر يوم هذه صفته، فهو يوم لا ينجي منه إلا اتقاءه في الدنيا، (لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا)، لا تؤدي عنها حقاً ولا تقضي عنها ديناً، (وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ)، لتنقذها من شره لو جاءت بشفاعة شافع، (وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ)، فدية تعدلها وتقوم مقامها في القدر، كما قال تعالى: (فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ)آل عِمْرَان ، (وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ) أي الذين لم يتقوا ذلك اليوم شملهم عموم النكرة في سياق النفي، وهم نفوس كثيرة ولا ينصرهم أحد لدفع شر ذلك اليوم، وفي الآية دلالة على أنها لا تنفع الشفاعة للمجرمين كلهم، ويدخل في ذلك أهل الكبائر المنتسبين إلى الإسلام، وليس ذلك حطاً من مرتبة الشافع؛ لأنه يكون على وجه يحصل فيه التكريم للشافع والإهانة للمشفوع له[٨٣].

وقولة تعالى: (بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١)البَقَرَةِ .

(بَلَىٰۚ) كلمة نفي لما قالوا به في قولهم: (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ) البَقَرَةِ ، ثم فصَّل معنى هذا، فقال تعالى: (مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ) لم يكن له من شرها منجى، كقوله تعالى: (جَآءَتۡهَا رِيحٞ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ)يُونُس، وقولة تعالى: (لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ)يُوسُف، أي تغلبوا وتقهروا ولا تجدوا لإنقاذه سبيلاً، فالمعنى لم يكن له ما ينقذه من شر خطيئته من عذر صحيح كالخطأ والنسيان والإكراه أو توبة تمحو السيئة، بل تورط في العذاب بسببها (فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) باقون فيها لا يموتون سواء كانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم[٨٤].

---

[٨٢] انظر: تفسير الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة، يوسف بن أحمد بن عثمان، (١٢٢/١)، مكتبة التراث الإسلامي، اليمن – صعدة، ط١، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.

[٨٣] التيسير في التفسير، بدر الدين بن أمير الدين الحوثي، (٩٣/١).

[٨٤] التيسير في التفسير، بدر الدين بن أمير الدين الحوثي، (١١٧/١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وفي قولة تعالى: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤)القَصَص.

الشاهد: وهنا يسأل المخالف عن الذين يعملون السيئات ويموتون مصرين عليها ماذا سيجزون؟، هل سيجزون الجنة؟ أم سيجزون مقاماً مناسباً لعملهم السيء؟، اله تعالى يقول: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ)، ومعلوم أن مقام هذا هو الجنة، ويقول جل شأنة:(۞مَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)، ومعلوم أن مقام هذا هو النار، فهل سيرد المخالف على الله تعالى قولة، فيقول مباهتاً: إن من جاء بالسيئة فإنه سيجزى بالجنة؟، وتذكر قول الله تعالى: (أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤)العَنكَبُوت : تخمسحج ، وقولة تعالى: (مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠)غَافِر[٨٥].

وقولة تعالى: (إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢)البَقَرَة.

(تَابُواْ) رجعوا إلى الله بالطاعة والإقلاع عن المعاصي، والعزم الصادق على طاعة الله في كل شيء، والندم للعصيان الماضي، (وَأَصۡلَحُواْ) ما أفسدوا بالكتمان، وما أفسدوا بغير الكتمان (وَبَيَّنُواْ) بينوا ما كانوا كتموا في المستقبل. وتوبة الله عليهم: رجوعة عليهم بالرحمة والمغفرة، وهو (ٱلتَّوَّابُ) كثير التوب على عبده، فلا يستبعد منه قبول التوبة ولا هداية العاصي للتوبة إذا لم يصدر منه ما يوجب الإبعاد منها بالخذلان..... (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ) أي استمروا على الكفر حتى ماتوا، كقولة تعالى: (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢)آل عِمۡرَان ، ..... (أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ) كأن الملائكة عليهم السلام، إنما يلعنون من مات على كفره دون الحي، وعلى هذا فاستغفارهم لمن في الأرض بمعنى طلب قبول توبة التائب وهداية المصر للتوبة، وهذا لعلمهم بشدة العذاب ودوامة، فهم يرغبون في

[٨٥] صدق الوعد في ميزان الثقلين، الكاظم الزيدي، ص٣٨٣.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

توبة الإنسان إشفاقاً عليه..... ولو كانوا يستغفرون للمصر لا على طلب هدايته للتوبة بل على فرض أنه يموت مجرماً لا ستغفروا لمن مات مجرماً ولما لعنوه.

(خَٰلِدِينَ فِيهَا) باقين في لعنة الله، فلا يزالون مطرودين من رحمة الله (لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ) فقولة: (خَٰلِدِينَ) يفيد: أنهم لا يموتون، وقولة: (لَا يُخَفَّفُ) يفيد أن العذاب باق لا يخفف، وقولة: (وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ) يفيد: أنه لا يؤخر عنهم إنظاراً لهم[٨٦].

وفي قولة تعالى: (فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩)البَقَرَةِ.

ذكر في الآية مسائل، ومنها:

دلالة الآية على خلود أهل الكبائر: قال أبو علي في الآية دليل على أن الله تعالى لم يكن وعد موسى ولا من بعدة من الأنبياء بخروج أهل الكبائر من النار، وإلا لما أنكر على اليهود مقالتهم هذه.

قلت: ودلالتها على هذا واضحة؛ لأنه تعالى أنكر مقالتهم هذه، ودل على أنه لم يكن بذلك منه عهد، ونص على أنهم قالوا ذلك لا عن علم.....

قلنا: لو كان قد وعده بخروجهم لكانت مقالة اليهود حقاً فلا يحسن إنكارها، وهذا معنى الملازمة. قال: وقد دل الشرع على عدم الملازمة بين ذلك من وجوه:

أحدها: أن يقال يجوز أن يكون الله إنما أنكر عليهم لأنهم قالوا أيام العذاب، لأن قولة: (أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ) البَقَرَةِ ، يفيد ذلك، وقد روي أنهم قالوا يعذب سبعة أيام، عدد أيام الدنيا سبعة آلاف لكل ألف يوم،..... .

والجواب: أن هذا خلاف الظاهر، فإن ظاهر الآية سيما مع قولة تعالى: (بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ)البَقَرَةِ ، يقتضي أنه أنكر عليهم دعوى الخروج مطلقاً، وقد صرح به ابن عباس في تلك الرواية، فإنه قال في آخرها حاكياً عن اليهود أنهم قالوا إنما هي سبعة أيام معدودات، ثم ينقطع العذاب فأنزل الله في ذلك: (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ)البَقَرَةِ ، إلى قولة تعالى: (هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)البَقَرَةِ وهذا نص في أن

[٨٦] التيسير في التفسير، بدر الدين بن أمير الدين الحوثي، (٢٠٢/٢).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الإنكار وقع لدعواهم الخروج، وإلا لما كان لذكر الخلود في الرد عليهم معنى.....[٨٧].

وفي قولة تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨)البَقَرَةِ .

الجزاء الغنى والكفاية أي لا تغني ولا تكفي نفس عن نفس، والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة في الخير أو الشر، قال تعالى: (وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢)الإنسَان ، وقال: (وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ)الشُّورَى ،..... وذهب الأكثر من الزيدية والمعتزلة إلى أن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين المستحقين للثواب[٨٨].

وفي قولة تعالى: (إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨)النِّسَاء .

(إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ) الآية؛ فأخبر أن من حكمة: أن لا يعفو إلا من بعد توبه، ثم قال مؤكد ومحذراً، وزاجراً ومنبهاً، وواعظاً ومخوفاً، وراحماً وناظرناً: (وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ) الآية، فأخبر تعالى: أنه لا يقبل التوبة عند الموت من الكافرين، ولا من الفاسقين من أهل الصلاة، فأزاح الشك في أمرهم: أنه لا يجوز أن يغفر لهم بعد الموت بلا توبة تكون منهم؛ لأنه لو كان ذلك مما يجوز في وصفة وحكمة – لقبل منهم التوبة عند الموت، التي بقبولها يكون الغفران، فلما ردها عند المعاينة ولم يقبلها- قطع عذر عبادة الفهمين عنه، وحذرهم بعقابة تحذيراً: أن لا يؤخروا التوبة إلى وقت لا ينفعهم قبولها فيه، كما لا ينفع ذلك غيرهم من الكافرين، ولولا ما أحب من إعلامه، مع قطع عذرهم والرحمه لهم – ما قرن رد

---

[٨٧] انظر: مفتاح السعادة، علي بن محمد بن يحي العجري، ص١١٩٣، كتاب إلكتروني (رقم الكتاب في المكتبة الشاملة١٧٥٩٧).

[٨٨]انظر: مفتاح السعادة، علي بن محمد بن يحي العجري، ص١١٦٣-١١٣٧، كتاب إلكتروني (رقم الكتاب في المكتبة الشاملة١٧٥٩٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

توبتهم برد توبة الكافرين، وإنما أراد بذلك تعالى: إزاحة الشك عنهم؛ لأنه لو جاز الشك في ذلك، وقد قرنه برد توبة الكافر- جاز الشك في وعد الكافرين، وإن كان لم يقبل توبتهم عند الموت، ثم أكد ذلك بقولة تعالى: (يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨)الزَّلْزَلَة، وقال تعالى: (مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ)النِّسَاء ، وأكد للقاتل الخلد في النار، ثم أكد ذلك وبينه بقوله: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨)الفُرْقَان، إلى قوله: (وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا)الفُرْقَان ، فأخبر أنه لا يغفر للكافرين، ولا لغيرهم من الزناة والقاتلين إلا بالتوبة والعمل الصالح، فإذا كان لا يجوز ذلك في حكمه، فأنى لهم بالغفران في القيامة؟![٨٩].

وفي قولة تعالى: (وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣)النِّسَاء.

قال المفسرون: هذه الآيه الكريمة قد انطوت على تغليظ الوعيد من جهات منها: كقولة تعالى: (فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ)، وقولة تعالى: (خَٰلِدٗا فِيهَا)، وقوله تعالى: (وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ)، وقوله تعالى: (وَلَعَنَهُۥ)، وقوله تعالى: (وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا)، وقوله تعالى: (عَظِيمٗا). وثمراتها: الحكم على قاتل المؤمن عمداً بأنه ارتكب كبيرة توجب تخليده في النار، واختلفوا إذا تاب هل تقبل توبته؟ وأكثر العلماء قطعوا بقبول توبته[٩٠].

وفي قولة تعالى: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠)الأَنْعَام.

تعلق قوم بالآية فقالوا: هو عام، ولا يجوز أن يبطل هذه الحسنات بل يجازى بها؛ لأنها تؤدي إلى الكذب.

---

[٨٩] تفسير وبيان لبعض آيات القرآن المسمى: الأنوار البهية المنتزع من كتب أئمة الزيدية، جمعة: عبدالرحيم محمد أحسن المتميز، (٢١٢/١-٢١٣)، ط١، ١٤٣٨ه-٢٠١٧م.

[٩٠] تفسير الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة، يوسف بن أحمد بن عثمان، (٤٥٠/٢)، مكتبة التراث الإسلامي، اليمن – صعدة، ط١، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

نقول: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ) مشترك بين الحسنة التي يأتيها البر التقي، وبين ما يأتيها الفاجر الفاسق، وقولة تعالى: (وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤)الانفِطَار : آية، بأنه ورد الوعيد في من يستحق اسم الفسق والفجور بمعصيته؛ لقولة تعالى:(وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ). ومما يدل على صحة ما ذكرناه قولة تعالى: (مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩)النَّمْل ، وهذا صفة من لا كبيرة معه، إذ الخوف غير زائل عن صاحب الكبيرة[٩١].

وفي قولة تعالى: (فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧)الزَّلْزَلَة.

قالوا: وهو عموم، فلو كان بعضهم لا يرونه لأدى إلى الكذب معارضته الكافر الذي قد آمن، والمرتد يجب أن يرى كل واحد منهما جزاء كفره وإيمانه، فمهما أجابوا في ذلك فهو جواب لهم، ليس أحد يدخل الجنة وقد عمل كبيرة تاب منها وصغيرة غفرت له، إلا وهو يراها مغفورة، وليس أحد يدخل النار وقد عمل طاعة أحبطتها كبيرة أو كفر، وهو يراها محبطة لتكون حسرة عليه، كما قال تعالى: (كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۗ)البَقَرَة. .... فليس المراد به أنه يرى بل يجد جزاء ما عمل من خير أو شر، صغيراً كان أو كبيراً؛ فالذي أحبط أعماله بكبيرة أو كفر يرى – بل يجد- جزاء ما عمله من خير بإحباطة إياه وتلحقة الحسرة لذلك، والتائب يجد جزاء ما عمل بسقوط العقاب في ما أوتي لأجل توبته، فكل واحد منهما يجد جزاء أعماله من الخير والشر[٩٢].

وقولة تعالى: (إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ)هُود ، قالوا: فأنتم قلتم: " إن السيئات يذهبن الحسنات" قيل لهم: الحسنات هاهنا هي التوبة.

من آمن بجميع ما يلزم الإيمان به، وآتى من الطاعات ما افْتُرض علية ثم جحد به فإن سيئته تلك تبطل حسناته، على أن حسنات صاحب الكبيرة لو آبطلت سيئاته لأزال عنهم اللعن والتفسيق، وسائر العقوبات كالتائب؛ فلما أمر الله تعالى بلعن

---

[٩١] متشابه القرآن لركن الدين أبي طاهر الطرثيثي، ص٧١٨-٧١٩، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان السالمي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط١، ١٤٣٦ه-٢٠١٥م.

[٩٢] انظر: متشابه القرآن لركن الدين أبي طاهر الطرثيثي، ص٧٢٠-٧٢١، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان السالمي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط١، ١٤٣٦ه-٢٠١٥م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

القاذف وسائر أصحاب الكبائر وسماهم فساقاً، وأجمعت الأمة عليه، دل على أن حسناتهم لم تذهب سيئاتهم، ولو لم يستحق القاذف اللعن والزاني الغضب لما أمر الله تعالى فيه بالدعاء على النفس بذلك عند الملاعنه، فقال: (وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ)النُّور ، وقال تعالى: (وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)النُّور ، ولأجل اللعن سمي اللعن ملاعنة ولعاناً[٩٣].

وفي قولة تعالى: (بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١)البَقَرَةِ.

السيئة: تتناول جميع المعاصي، بدليل قولة تعالى: (وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ) الشُّورَى، والمراد هنا الكبائر وأحاطت به خطيئته، ولفظ الإحاطة حقيقة في إحاطة جسم بجسم آخر كإحاطة السور بالبلد، والكوز بالماء، والمراد هنا أنها صارت لازمة له وخاصة من خواصة، بحيث لم تفارقة لإصراره عليها وتلبسه بها حتى مات، وقد فرق بين السيئة والخطيئة، فقيل المراد بالسيئة هنا الكفر، وبالخطيئة الكبيرة، وقيل: بالعكس[٩٤].

وفي قولة تعالى: (أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ)آل عِمۡرَان ، فبان أن الطاعات لا تُحبَطُ.

قد بينا أن الله تعالى لا يُحبط عمل أحد، وإنما العامل يضيعه ويبطلة بأن يرتكب ما يُحبِطُ من كبيرة ونحوها، فإن الله يكون مضيعاً لعمل العامل متى ما أبطله ولم يجازه عليه، من غير أن يكون قد أحبَطهُ العامل، وحاشا لله من مثل ذلك، على أنه يلزمهم أن يكون الكفر أيضاً لا يُبطله، ومهما أجابوا في الكفر فهو جواب لهم.

وبعد فليس من عمل يعمله العبد الموحد لله المقر به وبرسله وما يلزمه الإعتراف به، إلا وهو ينتفع به؛ إما أن ينال بذلك الثواب، وإما أن يخفف من عذابه،

---

[٩٣] متشابه القرآن لركن الدين أبي طاهر الطرثيثي، ص٧٢٢، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان السالمي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط١، ١٤٣٦ه-٢٠١٥م.

[٩٤] انظر: مفتاح السعادة، علي بن محمد بن يحي العجري، ص١١٩٥، كتاب إلكتروني (رقم الكتاب في المكتبة الشاملة١٧٥٩٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

فلا يعذب عذاب النار، كذلك المفروض عليه، وقد يجزى على ذلك في الدنيا، كما قال تعالى: (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ)هُود[٩٥].

[٩٥] متشابه القرآن لركن الدين أبي طاهر الطرثيثي، ص٧٢٦، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان السالمي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط١، ١٤٣٦ه-٢٠١٥م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المراجع:

١. أحكام عصاة المؤمنين، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وتقديم: مروان كجك، دار الكلمة الطيبة، القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢. الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣. بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
٤. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ.
٥. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، شمس الدين أبو عبدالله بن محمد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: الدكتور علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
٦. الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.
٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، أبو محمد، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ،١٤٢٢ه – ٢٠٠١م.
٨. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٩. نقض أساس التقديس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين، ابن تيمية، تحقيق: موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413